

التلامس الجسدي والترابط بين الأم وطفلها

الأطفال متعطشون للتلامس : قبل الولادة يظل الأطفال مستقرين في حالة إحتواء ودفء وتغذية داخل أرحام أمهاتهم.. وليس ذلك فحسب فهم مشتركون في كل حركة جسدية تقوم بها أمهاتهم.. أما بعد الولادة, وفي مناطق كثيرة من العالم يظل الأطفال ملتصقين بأمهاتهم طوال النهار, داخل حمالة من القماش أياً كان شكلها أو نوعها. ويستأنف الأطفال مشاركة أمهاتهم في جميع تحركاتهن أثناء ذهابهن لأداء مختلف الأعمال أياً ماكانت تلك الأعمال مثل إحضار الطعام وتجهيزه, فلاحه الأرض, النسج, تدبير شئون المنزل ثم يخلدون إلى النوم ليلاً في نفس الفراش. وهؤلاء الأطفال يبديون في الرضاعة الطبيعية منذ أول لحظة من عمرهم, والأطفال لا يسمعون بأذانهم ولا يشعرون باهتزازات كلمات أمهاتهم وأغنياتهم. وعندما يكبر الأطفال قليلاً, فغالباً ما يحملون أغلب أوقات النهار على حجور أو ظهور الأخوات الكبار, والأطفال في مثل تلك الثقافات يكون أقل, كما ان النحيب ليس شائعاً لديهم.

لقد تفننت مجتمعاتنا في إبتكار عشرات الوسائل العبقريّة لخلق مسافة بين الأمهات وأطفالهن.. فالأطفال يرسلون إلى حضانة المستشفى حيث يكونون تحت رعاية أشخاص آخرين مما يشعر الوالدين بأنهم ليسا أكفاء. ثم تتم تغذية الأطفال صناعياً بأغذية موضوعة في زجاجات وبهذا تفقد الأمهات والأطفال فرصة إقامة أقوى رابطة في تنشئة الطفل. وبالنسبة لنا فمن الطبيعي أن يوضع أطفالنا فوق حاشية مستوية داخل سرير ثابت ويفضل أن يكون في غرفة هادئة.. وأصبح لدينا مقاعد للأطفال ذات أربطة أو أحزمة أمان بحيث لانضطر إلى حملهم عندما يكونون مستيقظين بل وهناك مقاعد لتضمهم داخل السيارات, ثم ينتقلون منها إلى عرباتهم مباشرة ولا تكون هناك فرصة أمام الآباء ليتلامسوا مع أطفالهم على الإطلاق..

وهذا مايتناقض مع أنجح وسائل علاج مايصيب الأطفال من إيذاء أو إستخفاف أو حزن بل يصبب الأطفال والكبار أيضاً وهو **ضمة حنان قوية**. وهناك حاجة ملحة نحو التلامس الجسدي عند كل من الأطفال والآباء لأن **التلامس الجسدي** يطلق هورمونات بالمخ لدى الأطفال وآبائهم تساعد على خلق مشاعر الاسترخاء والراحة والسعادة كما تخفف من الألم وعندما يتعرض حديثو الولادة لشكات أو وخز الإبر عند إجراء الفحوص الروتينية مثلاً, فإن بكاءهم يكون أقل كثيراً إذا كان هناك تلامس مباشر بينهم وبين أمهاتهم, وينمو الأطفال المبتسرون بشكل أفضل وأسرع إذا خصص لهم وقت يومياً يتم فيه التلامس المباشر.

التلامس المبكر والإرتباط skin to skin contact : من الأمور المبهرة, مراقبة ماتفعله الأمهات بشكل طبيعي عندما يسمح لهن بأخذ أطفالهن بعد الولادة مباشرة, إنهن لا يتطلعن إليهن فحسب, وإنما يقضين وقتاً طويلاً في لمس أطرافهم وأجسادهم ووجوههم بأصابعهن, والأمهات بصفة عامة اللاتي يتاح لهن لمس أطفالهن بهذه الطريقة سوف يحظين بعلاقات سهلة مع أطفالهن حتى بعد إنقضاء أشهر على ذلك, كما أن الأطفال يكونون أكثر إستجابة.

وقد وجهت ملاحظات أطباء أطفال مثل (جون كينل) و (مارشال كلاوس) إلى إستخدام تعبير الإرتباط لوصف عملية الإلتصال الوالدين بشكل طبيعي بالإطفال حديثي الولادة ومن أروع النتائج بحوثهما أن المستشفيات في طول البلاد وعلى عرضها قد أصبحت تشجيع مشاركات الأمهات مع أطفالهن بنفس الغرفة. وتلجأ بعض المستشفيات مستنيرة إلى وضع حديثي الولادة على صدور أمهاتهم بعد التأكد من تجفيف الأطفال ومن أنها أصحاء, وعندئذ يستكين الأطفال ويبدءون في الرضاعة

على أن مفهوم الترابط ظل دائماً غير مفهوم على وجهه الصحيح إلى حد كبير مما أدى إلى الكثير من الفلق الذي لا داعي له, كما أن الأباء وحتى المتخصصين منهم غالباً ما يبدون أنهم يعتقدون أنهم مالم يتم الترابط خلال الأربع وعشرين إلى الثمان والأربعين ساعة الأولى فإنه لن يحدث مطلقاً, إلا أن هذه الفكرة ليست صحيحة فالترابط يحدث مع الأيام وليس هناك توقيت معين, والوالدان يرتبطان مع من يتبنأونهم في أي مرحلة من العمر والترابط هو شعور بالتواصل والإنتماء بين الوالدين والأبناء – قوة متينة جداً. والترابط يحدث لامحال على الرغم من متاعب الرعاية والتنشئة والتي تفصل أحياناً الوالدين عن صغارهم, وعادةً ما يقضي الأطفال المبتسرون شهور حياتهم الأولى في حضانات بلاستيكية معزولة وأن ذويهم سيظلون قادرين على الوصول إليهم من خلال فتحات الحضانات.

من كتاب د. سيوك لرعاية الطفل دليل الوالدين لتنشئة الاطفال من الميلاد حتى المراهقة ترجمة الاستاذ الدكتور محمد امين سليمان
اصدار شركة نهضة مصر للطباعة

